عندما يذوب الجليد

عندما يذوب الجليد

وقفت تتأمل جسدها أمام المرآة . . تتفحص جزءاً جزءاً بداية من أظفر قدميها وحتى شعر رأسها . . ضحكت ساخرة . . إنه النيولوك . . ولكن ليس بالمفهوم الحديث بل أصبح جسدها . . (أولدلوك) يعني أصبح مثل شجرة الجميز . . لقد نجحت أخيراً يا نسمة . . للحق يجب أن أكون الآن عاصفة ولست نسمة . . ومع ذلك فأنا سعيدة بهذا .

كانت نسمة تتحدث إلى نفسها في مرارة وأخذ تفكيرها يشرد بعيداً عندما كانت كالغزال أو المانيكان . فمقايس جسدها المتناسق كان يؤهلها لأن تكون كذلك، كان التناسق بأنوثة طاغية متجسدة في خصرها، والذي يشبه الكعكة، أما الهنش والصدر فقصة أخرى سبحان من صور . . وإن تحدثنا عن الوجه وجماله . . آه من جماله . . والشعر وطوله ونعومته . . آه من نعومته .

ضحكت نسمة بسخرية وهي تسترجع تلك الجمل التي كان يُسمعها إياها رئيس مجلس إدارة الجريدة التي تعمل بها . . أما نسمة فدائماً ما كانت تقول له :

ـ نفس أسمع مرة كلمة إطراء على عملي . . على كتاباتي . . على نشاطي .

حقًا كانت تلك هي مشكلتها الحقيقية، فجاذبيتها وجمالها ورشاقتها

كثيراً ما يطفي على إنجازاتها العملية . صاحبتها تلك التهمة ـ تهمة الجمال ـ من عمل إلى آخر . نعم إن الجمال غالبًا ما يكون نقمة ـ رغم أن الله وهبنا إياه ليكون نعمة لصاحبه، حتى عندما تزوجت كانت غيرة زوجها عليها من جراء جمالها هي أول أسباب طلاقها منه ـ قبل حتى أن تنجب ـ وإن وفقت في عمل كان أولى الاتهامات أنها نجحت بسبب جمالها وليس اجتهادها .

سنوات وسنوات حتى اتخذت قراراً مريراً . . فقد قررت بسمة أن تفسد جمالها وتشوه تناسق جسدها فتركت نفسها فريسة للنهم . . أخذت تأكل بلا وعي . . أوقفت كل نشاط رياضي تقوم به . . أهملت كل ما يخص أنوثتها حتى قلبها . . خيل إليها أنها أوقفت نبضاته . . وشيئًا فشيئًا انطوت نسمة وتقوقعت على نفسها حتى إنها كانت تتعامل بالفاكسات أو الإميلات حتى لا تلتقي بأحد أو يلاقيها أحد، حتى كان هذا اليوم الذي جاءتها صديقتها بمشكلة تريدها أن تساعدها في حلها ـ والحل عند أحد المسئولين ـ ربما التقت به نسمة مرة أو مرتين أيام الرشاقة والدلال ـ وتذكرت أنه ككل الرجال وقتها حاول أن يتودد إليها . . يقترب منها . . ولكنها أيضًا كما كانت تفعل . . زاغت منه .

اتصلت نسمة بمكتب السيد/ منير بك وطلبت تحديد موعد ليحل مشكلة صديقتها، وفي يوم اللقاء وقفت نسمة أمام المرآة تلقي النظرة الأخيرة قبل المغادرة، وتساءلت يا ترى هل سيتذكرني؟ هل سيعرفني؟ لا أظن . فلا يوجد أي ملمح يربط ما بين اليوم والأمس .

والشيء الأغرب بالنسبة لنسمة أنها كانت دائمًا تتساءل ما هي العلاقة بين مشاعرها وأحاسيسها ودقات قلبها وبين هذا الجسد المترهل "المفشول" فقد تجمدت عواطفها وأصبحت كلوح الثلج، ما عاد يحركها أو يؤثر فيها شيء، حتى الأفلام والأغاني الرومانسية ما عادت تشعر بها أو تحرك شعره في جسدها. ما الذي أصابها؟ هل تبلدت، هل ماتت أنوثتها وهي في عز شبابها؟

أحيانًا تندم على ما فعلت بنفسها، وأحيانًا تسعد بما وصلت إليه، ما كل هذه المهاترات؟ إن الوقت يمر والموعد يقترب، ولابد من الرحيل.

في مكتب منير بك جلست نسمة حتى جاءت السكرتيرة تأذن لها بالدخول. عندما اقتربت منه للتحية مد إليها يده بالسلام ونظر إليها قائلاً:

ـ زي ما انت، لسه زي ما انت جميلة بشوشة.

ابتسمت في خجل وقالت:

ـ ألا زلت تتذكرني رغم.. ونظرت نظرة سريعة إلى جسدها.

قال لها يقاطعها:

ـ تقصدي رغم.. هذه الكيلوات التي زادت من وزنك.. إنني يا نسمة ما رأيتك أبدًا من الخارج.. كنت دائمًا أراك من الداخل.. أرى روحك، أرى قلبك الحنون. أبدًا ما جذبني لَك جمال جسدك فقط، أني عشقت فكرك الناضج.. طهارتك.. رجاحة عقلك واتزانك. لقد بحثت عنك كثيرًا ولكنك اختفيت، أين كنت؟ أين ذهبت؟ هل تزوجت مرة أخرى؟

أجابت مسرعة:

ـ لأ.. لأ.. أبدًا.. أنا مش...

اقترب منها مادًا يده الأخرى فأخذ يدها بين راحتي يديه وضمهما بقوة أطاحت بكل سنوات الصمود والتحدي بداخلها، ووجدت الجليد في قلبها قد ذاب فجأة وتحول إلى شلالات من المياه الدافئة.. الملتهبة.. المتأجة.

همس في أذنها:

ـ نسمة.. هل تتزوجينني؟

أجابت في صمت ولسان حالها يقول:

ـ لقد أذبت الجليد في قلبي، وأضأت بحبك حياتي.

عادت نسمة تسترد رشاقتها وحيوتها، فقد أضاء منير حياتها بالحب والثقة، أما الجليد فقد انصهر في بوتقة الحب الدافئ مع ابنتهما شمس.